

والشحاذين . ماذا يقصد العقاد من هذا التعليق الذى أوجزناه ؟ المقصد هو أن شوقى يتملق الموت دون حساب . لاحظ كلمة يتملق التى تستخرج أعنف ما فى نفس العقاد . لقد اضطرت الى استعمالها حتى أوضح الموقف . لقد استخدم التنويع اللغوى إذن استخداما مسيئا ، ولو قد وقفنا عند هذا التنويع لانتجاوزه ولا نرتاب فيه لما استطعنا أن نتفهم بعض نقد العقاد . نقد العقاد يدور على أن هذا التنويع لا يخلو من الملق ، ولا يمكن أن تفهمه دون نظرة معيارية ، والذين يفتنهم تحليل اللغة إذن عليهم أن يفرقوا بين الوسائل والغايات . فتحليل اللغة ليس أكثر من توضيح منظم الى حد ما لحاسة يتملق الموت فى رأى العقاد . لذلك اختصر العقاد الطريق . لم يستوقفنا عند شيء من هذا التحليل . لقد زعم أنك لست محتاجا اليه ، هناك حدس قوى واضح يغنى عنه ، حدس يعبر عنه العقاد حين يقول هذه لغة المكدين ، لا تفترق عنها إلا افتراق عذوبة وسلاسة أغوت عقول كثير من القراء . من الواضح أن العقاد المتفائل لم ير فى المآثر والأيدى السابقة ما يقلل مما سميت به ملق الموت . المهم هو أن العقاد يقول لنا لا تتعب نفسك فى التحليل اللغوى إذا كان فى وسعك أن تصل الى الغاية من طريق قصير . يقول العقاد فيما يبدو إن تفكير شوقى ليس ناضجا . إن عبارة النضج شديدة الأهمية . فتنة اللغة بمعزل عن هذا النضج ، ولذلك خصصت ، العقاد لم يوضح فى هذا المقام رأيه ، ولكن كل شيء فى السياق الأكبر من فلسفة العقاد يفيدنا هنا ، لقد روعنا شوقى على نحو ما روعتنا البلاغة العربية ، وقد سمعت منذ قليل أن العقاد يهجم على هذا الترويع ، والترويع حاسة مهمة إذا بحثت البلاغة العربية بحثا متعمقا . هذا الترويع يبدو على الخصوص فى النقلة من البيتين الأولين الى البيت الثالث .

وبعبارة أخرى إن اعتماد شوقى على هذا الترويع يعنى أنه فى نظر العقاد لا يفكر تفكيراً صحيحاً ، لقد خدعت اللغة شوقى حين خيلت إليه أن النقلة من توالى الموت أو ذهاب الناس الى بقاء مآثر وأيدى نقلة مستقيمة ، من المؤكد أن العقاد رأى فى هذا النوع من التأملات مالا يغذو تفكير رجل مشغول منذ البدء والى النهاية بمعنى النمو وإرادة الحياة ، والإشادة بالإنسان ، وبزوغ الحرية فى ظلمات القهر والضرورة ، تفكير العقاد متماسك الى أقصى حد . ومن ثم كان اتهامه بالتحيز والغيرة اتهاماً يصدر عن قارىء لا يحسن قراءة العقاد فى تفصيلاته . إن نقد العقاد لشوقى لم يمحص حتى الآن تمحيصاً ثرياً . إذا تعمقت قراءة العقاد ذكرت ما كان يقوله الدكتور طه . شوقى لا يقرأ